
الْفَلَّاحُ السَّعِيدُ

حَدِيقَةُ الطِّفْلِ

الْفَلَّاحُ السَّعِيدُ

بِقَلَم

إبراهيم عزوز

ملتزمة الطبع والنشر

مكتبة مصر

٣ شَارِع كَامِل صِدْقِي (الْفَجَّالَة) بِالْقَاهِرَة

– ١ –

يُحْكَى أَنَّهُ كَانَ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ ، فَلَّاحٌ طَيِّبُ الْقَلْبِ ، كَرِيمُ الْخُلُقِ ، وَكَانَ يَعِيشُ فِي قَرْيَةٍ مِنَ الْقُرَى الْبَعِيدَةِ عَنِ الْمُدُنِ .

وَكَانَتْ لَهُ زَوْجَةٌ طَيِّبَةٌ طَاهِرَةٌ ، تُشْبِهُهُ فِي أَخْلَاقِهِ الْكَرِيمَةِ وَصِفَاتِهِ الْحَمِيدَةِ . وَكَانَا يَعِيشَانِ فِي سَعَادَةٍ وَسُرُورٍ ، لَا يُنَغِّصُ عَلَيْهِمَا حَيَاتَهُمَا إِلَّا شَيْءٌ وَاحِدٌ كُلَّمَا فَكَّرَا فِيهِ .. فَقَدْ مَضَى عَلَى زَوَاجِهِمَا عِدَّةُ أَعْوَامٍ ، وَلَمْ يَرْزُقْهُمَا

اللّهُ وَلَدًا يُتِمُّ سَعَادَتَهُمَا ، وَيُكَمِّلُ سُرُورَهُمَا.

وَلِهَذَا كَانَ الزَّوْجُ يُصَلِّى وَيَدْعُو اللّهَ أَنْ يَرْزُقَهُمَا وَلَدًا صَالِحًا . وَكَانَتِ الزَّوْجَةُ تُصَلِّى وَتَدْعُو اللّهَ أَنْ يَرْزُقَهُمَا وَلَدًا أَوْ بِنْتًا .

وَفِى ذَاتِ يَوْمٍ أَحَسَّتِ الزَّوْجَةُ أَنَّ جَنِينًا يَتَحَرَّكُ فِى بَطْنِهَا ، فَكَادَتْ تَطِيرُ مِنَ الْفَرَحِ ، وَأَسْرَعَتْ إِلَى زَوْجِهَا وَأَخْبَرَتْهُ بِهَذَا الْخَبَرِ السَّعِيدِ ، الَّذِى كَانَ يَتَشَوَّقُ لِسَمَاعِهِ مِنْ زَمَنٍ بَعِيدٍ . وَعَرَفَ الْأَقَارِبُ وَالْجِيرَانُ الْخَبَرَ ، فَأَسْرَعُوا إِلَى الدَّارِ يُهَنِّئُونَ الزَّوْجَةَ ، وَيَدْعُونَ

اللَّهَ أَنْ يجْعَلَ عَوَاقِبَ حَمْلِهَا سَلِيمَةً .

وَلَمَّا جَاءَ يَوْمُ الْوَضْعِ ، اجْتَمَعَتْ نِسْوَةُ الْحَيِّ ، وَأَقْبَلْنَ عَلَى دَارِ الْفَلَّاحِ ؛ لِيُسَاعِدْنَ زَوْجَتَهُ ، وَيُخَفِّفْنَ عَنْهَا آلَامَ الْوَضْعِ وَالْوِلَادَةِ.

تَمَّ الْوَضْعُ بِسَلَامٍ ، وَخَرَجَ إِلَى الدُّنْيَا طِفْلٌ جَمِيلٌ مُشْرِقُ الْوَجْهِ ، أَسْوَدُ الشَّعْرِ ، وَاسِعُ الْعَيْنَيْنِ ، تَتَدَلَّى فَوْقَ جَبِينِهِ خُصْلَةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ الشَّعْرِ الْأَبْيَضِ ، كَأَنَّهَا مَصْنُوعَةٌ مِنْ خُيُوطِ الْفِضَّةِ أَوْ رَغْوَةِ اللَّبَنِ ، فَارْتَفَعَتِ الزَّغَارِيدُ فِي الْبَيْتِ ، وَفَرِحَتِ الْأُمُّ ، وَفَرِحَ

الْأَبُ ، وَقَالَتِ النِّسْوَةُ الْحَاضِرَاتُ :

ـــ إِنَّ هَذَا الطِّفْلَ عَجِيبٌ ، فَمَا رَأَيْنَا مِنْ قَبْلُ طِفْلاً يَحْمِلُ مِثْلَ هَذِهِ الْخُصْلَةِ الْبَيْضَاءِ !!

وَقَالَتْ سَيِّدَةٌ عَجُوزٌ :

ـــ لَابُدَّ أَنْ يَكُونَ لِهَذَا الطِّفْلِ شَأْنٌ آخَرُ ، لَيْسَ كَشَأْنِ غَيْرِهِ مِنَ الْأَطْفَالِ !!

وَمُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ صَارَ أَهْلُ الْقَرْيَةِ يَتَحَدَّثُونَ عَنْهُ أَعْجَبَ الْأَحَادِيثِ ، وَيَنْسُبُونَ إِلَيْهِ كَثِيراً مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي تَدْعُو إِلَى الْعَجَبِ وَالدَّهْشَةِ .

— ٢ —

وَكَانَ فِى الْبِلَادِ مَلِكٌ غَاشِمٌ ، كَثِيرُ الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ . . يَغْتَصِبُ أَمْوَالَ الشَّعْبِ ، وَيُسَخِّرُ النَّاسَ فِى عَمَلِ مَا يُرِيدُ ، دُونَ أَنْ يُعْطِيَهُمْ أُجُوراً . وَكَانَ يُقَرِّبُ الْأَقْوِيَاءَ وَيُسَاعِدُهُمْ ، وَيَظْلِمُ الضُّعَفَاءَ وَيُضَيِّعُ حُقُوقَهُمْ ؛ وَلِهَذَا كَانَ الشَّعْبُ كُلُّهُ يَكْرَهُهُ ، وَيَتَمَنَّى الْيَوْمَ الَّذِى يَزُولُ مُلْكُهُ فِيهِ إِلَى الْأَبَدِ .

وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ رَعِيَّتِهِ رَاضِياً عَنْهُ ، إِلَّا طَائِفَةً صَغِيرَةً ، هُمُ الْأَغْنِيَاءُ الَّذِينَ



وما كاد يفتحه حتى صاح .. ص ٢٠

يَشْتَرِكُونَ مَعَهُ فِى ظُلْمِ الشَّعْبِ وَاغْتِصَابِ قُوتِهِ وَأَرْزَاقِهِ.

• • •

سَمِعَ أَهْلُ الْقُرَى الْمُجَاوِرَةِ أَحَادِيثَ الْقَرْيَةِ عَنِ الْفَتَى فَصَدَّقُوهُ فِى الْحَالِ، وَفَرِحُوا بِهِ أَعْظَمَ فَرَحٍ، وَرَاحُوا يُمَنُّونَ أَنْفُسَهُمْ بِالْيَوْمِ الْقَرِيبِ الَّذِى يُخَلِّصُهُمْ فِيهِ هَذَا الطِّفْلُ الْمُبَارَكُ مِنْ ظُلْمِ الْمَلِكِ!!

وَانْتَقَلَ الْخَبَرُ مِنَ الْقُرَى إِلَى الْمُدُنِ بِسُرْعَةٍ عَجِيبَةٍ، كَمَا تَنْتَقِلُ الْأَخْبَارُ الْغَرِيبَةُ فِى الْعَادَةِ.

وَصَارَ الْخَبَرُ يَطِيرُ وَيَطِيرُ ، كَأَنَّ الرِّيَاحَ تَحْمِلُهُ ، حَتَّى وَصَلَ إِلَى سَمْعِ الْمَلِكِ فِي قَصْرِهِ.

لَمْ يَهْتَمَّ الْمَلِكُ بِهَذَا الْخَبَرِ ، وَلَمْ يُفَكِّرْ فِيهِ أَوَّلَ الْأَمْرِ . . لَكِنْ لَمْ تَمْضِ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا أَيَّامٌ مَعْدُودَةٌ ، حَتَّى هَبَّ مِنْ نَوْمِهِ ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي أَشَدِّ فَزَعٍ وَخَوْفٍ وَأَمَرَ فِي الْحَالِ بِإِحْضَارِ كَبِيرِ وُزَرَائِهِ .

حَضَرَ كَبِيرُ الْوُزَرَاءِ ، فَرَأَى الْمَلِكَ زَائِغَ الْعَيْنَيْنِ ، أَصْفَرَ اللَّوْنِ ، يَرْتَعِشُ وَيَضْطَرِبُ ، كَأَنَّهُ غُصْنُ شَجَرَةٍ تَهُزُّهُ الْعَوَاصِفُ .

وَبَعْدَ فَتْرَةٍ صَمْتٍ طَوِيلَةٍ ، هَدَأَتْ نَفْسُ الْمَلِكِ قَلِيلًا ، فَأَخَذَ يَقُصُّ عَلَى الْوَزِيرِ مَارَآهُ فِي نَوْمِهِ ، فَقَالَ :

ـــ رَأَيْتُ كَأَنَّ شَابًّا مِنَ الْفَلَّاحِينَ هَجَمَ عَلَيَّ ، وَقَيَّدَنِي بِقُيُودٍ مَتِينَةٍ ، وَأَلْقَانِي عَلَى سَرِيرٍ صَغِيرٍ مُضْطَرِبٍ .

تَظَاهَرَ الْوَزِيرُ بِعَدَمِ الِاهْتِمَامِ ، وَقَالَ لِلْمَلِكِ :

ـــ يَظْهَرُ أَنَّ الشَّائِعَاتِ الْكَاذِبَةَ الَّتِي سَمِعْنَاهَا عَنْ هَذَا الطِّفْلِ ، كَانَ لَهَا أَثَرُهَا فِي

نَفْسِكَ يا مَوْلاىَ ، وَلِهٰذا رُحْتَ تَحْلُمُ بِهِ !!
لا .. لا !! لا تَشْغَلْ نَفْسَكَ بِالأَوْهامِ ،
وَلا تُصَدِّقِ الأَحْلامَ ، فَإِنَّ الأَحْلامَ مِنْ عَمَلِ
الشَّيَاطِينِ وَالأَرْواحِ الشِّرِّيرَةِ !!

لَمْ يُقْنِعِ المَلِكَ كَلامُ الوَزِيرِ ، فَقَالَ :
ــ أَخْشَى أَنْ يَكُونَ هَذَا الْحُلْمُ صَحِيحاً ، فَقَدْ
رَأَيْتُهُ فِي لَيْلَتِي هَذِهِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ !!
آه !! إِنِّي خائِفٌ .. كَأَنِّي أَراهُ أَمامِي
الآنَ !!

فَزِعَ كَبِيرُ الوُزَرَاءِ كَمَا فَزِعَ المَلِكُ ،

وَخَافَ أَنْ يَكُونَ الْمَلِكُ قَدْ أُصِيبَ فِي عَقْلِهِ ؛
فَأَسْرَعَ بِزِيلُ الْمَخَاوِفَ مِنْ نَفْسِهِ وَقَالَ :
ـــ لَا تَخَفْ يَا مَوْلَايَ وَلَا تَضْطَرِبْ ، فَلَنْ
يَنْتَهِيَ الْيَوْمُ حَتَّى يَخْتَفِيَ الطِّفْلُ .. يَخْتَفِي
مِنَ الدُّنْيَا إِلَى الْأَبَدِ !! فَسَأُرْسِلُ إِلَيْهِ جَمَاعَةً
مِنَ الْجُنُودِ الشُّجْعَانِ يَخْطَفُونَهُ مِنْ أَبَوَيْهِ ،
وَيَذْبَحُونَهُ أَمَامَ أَهْلِ الْقَرْيَةِ ، تَأْدِيبًا لَهُمْ
عَلَى نَشْرِ الْأَخْبَارِ الْكَاذِبَةِ ، الَّتِي أَزْعَجَتْ
مَوْلَايَ ، وَجَعَلَتْهُ يَحْلُمُ بِهَا !!

٥ ٥ ٥

وَكَانَ فِي قَصْرِ الْمَلِكِ خَادِمٌ يَثِقُ بِهِ الْمَلِكُ وَيَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ ، وَلَكِنَّ الْخَادِمَ كَانَ وَاحِدًا مِنْ أَفْرَادِ الشَّعْبِ ، فَلَمْ يَنْسَ الشَّعْبَ الْمَظْلُومَ ، وَلَمْ يُحِبَّ الْمَلِكَ الظَّالِمَ . وَكَانَ قَدْ سَمِعَ أَخْبَارَ هَذَا الطِّفْلِ ، وَتَمَنَّى مَعَ الشَّعْبِ أَنْ تَتَحَقَّقَ نُبُوءَةُ الْعَرَّافَةِ ، وَلِهَذَا عِنْدَمَا سَمِعَ كَلَامَ الْوَزِيرِ خَافَ أَنْ يُنَفِّذَ مَا قَالَهُ ، فَاخْتَارَ وَاحِدًا مِنْ أَعْوَانِهِ الْمُخْلِصِينَ ، وَأَرْسَلَهُ إِلَى الْفَلَّاحِ وَزَوْجَتِهِ ، لِيُخْبِرَهُمَا بِمَا سَمِعَ قَبْلَ أَنْ يُرْسِلَ الْوَزِيرُ جُنُودَهُ .

— ٣ —

حَزِنَ الْفَلَّاحُ ، وَحَزِنَتْ زَوْجَتُهُ ، وَحَضَنَا طِفْلَهُمَا الْعَزِيزَ ، وَرَاحَا يَبْكِيَانِ ثُمَّ يَبْكِيَانِ.

وَبَعْدَ فَتْرَةٍ فَكَّرَ الزَّوْجُ فِي حِيلَةٍ ، وَقَالَ لِزَوْجَتِهِ:

— لَا تَحْزَنِي يَا زَوْجَتِي ، إِنَّ اللهَ لَا يَتْرُكُ عِبَادَهُ الضُّعَفَاءَ وَلَا يَنْسَاهُمْ ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَحْفَظَ طِفْلَنَا وَيَرْعَاهُ .

وَأَعَدَّ صُنْدُوقًا مَتِينًا ، وَوَضَعَ فِيهِ بَعْضَ الْمَلَابِسِ وَالْأَغْطِيَةِ ، وَأَرْقَدَ الطِّفْلَ فِيهِ ثُمَّ حَمَلَهُ وَسَارَ بِهِ إِلَى النَّهْرِ دُونَ أَنْ يَرَاهُ

أَحَدٌ . وَعِنْدَمَا وَصَلَ إِلَى الشَّاطِئِ وَضَعَ الصُّنْدُوقَ فِي النَّهْرِ وَهُوَ يَقُولُ :

— أَيُّهَا النَّهْرُ الرَّحِيمُ ، احْفَظْ هَذِهِ الْوَدِيعَةَ الَّتِي عَجَزْنَا عَنْ حِفْظِهَا .

وَرَجَعَ إِلَى الْبَيْتِ ، فَوَجَدَ زَوْجَتَهُ قَدْ أَتَمَّتِ الْحِيلَةَ ، فَأَحْضَرَتْ دُمْيَةً صَغِيرَةً ، وَلَفَّتْهَا بِالثِّيَابِ كَأَنَّهَا طِفْلٌ ، وَوَضَعَتْهَا فِي مَهْدِ وَلَدِهَا ، وَأَخَذَتْ تَصْرُخُ وَتَقُولُ :

— مَاتَ وَلَدِي !! مَاتَ قَبْلَ أَنْ أَتَمَتَّعَ بِهِ !!

وَأَخَذَ الزَّوْجُ يَبْكِي بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ وَيَقُولُ :

ـ مَاتَ وَلَمْ يَمْكُثْ مَعَنَا إِلَّا شَهْراً مِنَ الزَّمَانِ ، وَكُنَّا نَتَمَنَّى أَنْ يَعِيشَ وَيَصْنَعَ الْمُعْجِزَاتِ !!

سَمِعَ الْجِيرَانُ وَأَهْلُ الْقَرْيَةِ الصُّرَاخَ ، فَأَقْبَلُوا عَلَى دَارِ الْفَلَّاحِ مَحْزُونِينَ ، وَاشْتَرَكُوا مَعَ الْأَبَوَيْنِ فِي الْبُكَاءِ وَالصُّرَاخِ . ثُمَّ حَمَلَ الْأَبُ الدُّمْيَةَ عَلَى يَدَيْهِ ، وَسَارَ إِلَى الْمَقْبَرَةِ مَعَ أَصْحَابِهِ وَجِيرَانِهِ وَهُوَ يَبْكِي ، وَكَأَنَّهُ يَحْمِلُ طِفْلَهُ الْعَزِيزَ .

***

وَمَا كَادَ أَهْلُ الْقَرْيَةِ يَدْفِنُونَ الدُّمْيَةَ

فِى الْقَبْرِ ، حَتَّى أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ جُنُودُ الْمَلِكِ ،
يَبْحَثُونَ عَنِ الطِّفْلِ . وَرَأَى الْجُنُودُ الْقَبْرَ
وَهُوَ يُقْفَلُ ، وَرَأَوْا دُمُوعَ الْحَاضِرِينَ تَسِيلُ
بِغَزَارَةٍ ، وَرَأَوُا الْفَلَّاحَ وَزَوْجَتَهُ يَكَادَانِ
يَمُوتَانِ حُزْنًا ؛ فَلَمْ يَشُكُّوا فِى شَىْءٍ ، وَصَدَّقُوا
أَنَّ الطِّفْلَ مَاتَ وَدُفِنَ ، وَرَجَعُوا فِى الْحَالِ
إِلَى قَصْرِ الْمَلِكِ وَهُمْ يَحْمَدُونَ اللّٰهَ عَلَى أَنَّ
الطِّفْلَ مَاتَ قَبْلَ وُصُولِهِمْ ، لِكَيْلَا يَشْتَرِكُوا
مَعَ الْمَلِكِ فِى الظُّلْمِ ! !

وَعِنْدَمَا سَمِعَ الْوَزِيرُ الْقِصَّةَ مِنَ الْجُنُودِ ،

ظَهَرَ الْفَرَحُ فِي وَجْهِهِ ، وَقَالَ لِلْمَلِكِ :

ـــ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ يَامَوْلَايَ : إِنَّ الْأَحْلَامَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ؟

فَقَالَ الْمَلِكُ بِسُرُورٍ كَبِيرٍ :

ـــ صَدَقْتَ أَيُّهَا الْوَزِيرُ الْعَاقِلُ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ شَيْطَانًا خَبِيثًا ، اسْتَطَاعَ أَنْ يُخِيفَنِي وَأَنْ يُزْعِجَنِي يَوْمًا كَامِلًا .

ـ ٤ ـ

حَمَلَتِ الْأَمْوَاجُ الطِّفْلَ بِرِفْقٍ ، وَدَفَعَتْهُ أَمَامَهَا طُولَ اللَّيْلِ ، حَتَّى أَوْصَلَتْهُ إِلَى

جَانِبِ شَجَرَةٍ كَبِيرَةٍ عَلَى الشَّاطِئِ

وَفِي الصَّبَاحِ الْمُبَكِّرِ أَقْبَلَ عَلَى النَّهْرِ صَيَّادٌ، كَانَ قَدْ تَعَوَّدَ أَنْ يَصِيدَ مِنَ النَّهْرِ كُلَّ يَوْمٍ، فَلَمَّا أَبْصَرَ الصُّنْدُوقَ، وَقَفَ مُتَرَدِّدًا لَحْظَةً قَصِيرَةً.. تَرَدَّدَ لِأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَكُونَ فِيهِ شَيْءٌ مَسْرُوقٌ، وَأَرَادَ أَنْ يَبْتَعِدَ عَنْهُ، وَأَنْ يُرِيحَ نَفْسَهُ مِنَ التَّحْقِيقِ مَعَهُ. وَلَكِنَّهُ أَحَسَّ فِي نَفْسِهِ رَغْبَةً قَوِيَّةً فِي مَعْرِفَةِ السِّرِّ الَّذِي يُخْفِيهِ الصُّنْدُوقُ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَمْنَعَ هَذِهِ الرَّغْبَةَ، فَمَدَّ صِنَّارَتَهُ وَجَذَبَ

الصُّنْدُوقَ إِلَى الشَّاطِئِ .

وَمَا كَادَ يَفْتَحُهُ حَتَّى صَاحَ بِدَهْشَةٍ :

ـ طِفْلٌ !! طِفْلٌ !! يَالَلْعَجَبِ !!
إِنَّهُ طِفْلٌ جَمِيلٌ .

وَحَمَلَهُ فِي صُنْدُوقِهِ ، وَرَجَعَ بِهِ إِلَى كُوخِهِ ، وَأَخْبَرَ زَوْجَتَهُ بِكُلِّ مَا حَدَثَ لَهُ .

فَرِحَتْ زَوْجَةُ الصَّيَّادِ الَّتِي لَمْ يَكُنْ لَهَا أَطْفَالٌ ، وَقَالَتْ :

ـ يَافَرْحَتَاهُ !! لَاشَكَّ أَنَّ اللَّهَ عَلِمَ حَاجَتَنَا إِلَى الْأَطْفَالِ فَأَرْسَلَ إِلَيْنَا هَذَا



وبعد قليل حضر ولداها .. ص ٣٣

الطِّفْلَ !! يجِبُ يا زَوْجِى العَزِيزَ أَنْ نُرَبِّيَهُ وَأَنْ نُحافِظَ عَلَيْهِ ، وَاللَّهُ يَرْزُقُهُ وَيَرْزُقُنا مَعَه.

٭ ٭ ٭

وَمِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ أَصْبَحَ الطِّفْلُ يُسَمَّى «هِبَةَ السَّماءِ» .

وَمُنْذُ عَثَرَ الصَّيّادُ عَلَيْهِ زادَ رِزْقُهُ ، وَكَثُرَ السَّمَكُ الَّذِى يَصِيدُهُ ، وَعاشَ الثَّلاثَةُ فِى أَتَمِّ سَعادَةٍ وَأَكْرَمِ عِيشَةٍ .

٭ ٭ ٭

أَخَذَ هِبَةُ السَّماءِ يَنْمُو وَيَكْبَرُ ، وَتَعَلَّمَ

الْمَشْىَ ، وَصَارَ يَخْرُجُ إِلَى الطَّرِيقِ ، وَيَجْلِسُ
مَعَ النَّاسِ ، يُحَادِثُهُمْ وَيُحَادِثُونَهُ وَكَانَ
كُلُّ مَنْ يَرَاهُ يُحِبُّهُ ، وَيَتَمَنَّى أَلَّا يُفَارِقَهُ .

وَلَمْ يَعْرِفْ أَحَدٌ أَنَّ الصَّيَّادَ عَثَرَ
عَلَيْهِ فِي النَّهْرِ ، بَلْ كَانَ الْجَمِيعُ يَعْتَقِدُونَ
أَنَّهُ ابْنُ الصَّيَّادِ .

بَلَغَ هِبَةُ السَّمَاءِ خَمْسَةَ عَشَرَ عَامًا . وَفِي
ذَاتِ يَوْمٍ سَمِعَ الصَّيَّادُ طَرْقًا عَلَى الْبَابِ ،
وَلَمَّا فَتَحَهُ وَجَدَ أَمَامَهُ رَجُلًا حَسَنَ الْهَيْئَةِ ،
يَرْكَبُ جَوَادًا أَصِيلًا ، وَيَلْبَسُ مَلَابِسَ غَالِيَةً ،

وَيُحَيِّيهِ بِابْتِسَامٍ ، وَيَسْتَأْذِنُهُ فِي دُخُولِ دَارِهِ ؛ لِيَسْتَرِيحَ مِنْ مَتَاعِبِ السَّفَرِ الطَّوِيلِ .

رَحَّبَ الصَّيَّادُ بِضَيْفِهِ ، وَأَحْسَنَ اسْتِقْبَالَهُ ، وَسَارَ بِهِ إِلَى دَاخِلِ الدَّارِ ، فَاسْتَقْبَلَتْهُ زَوْجَتُهُ بِتَرْحِيبٍ وَسُرُورٍ مِثْلَ زَوْجِهَا .

وَجَلَسَ مَعَهُمَا يَتَحَدَّثُ وَيَقُصُّ عَلَيْهِمَا كَثِيرًا مِنَ الْأَخْبَارِ ، دُونَ أَنْ يُعَرِّفَهُمَا حَقِيقَةَ نَفْسِهِ .

وَكَانَ هِبَةُ السَّمَاءِ قَدْ ذَهَبَ إِلَى الْمَطْبَخِ لِيُعِدَّ التَّحِيَّةَ لِلضَّيْفِ . ثُمَّ عَادَ وَهُوَ

يَحْمِلُ كُوبًا مِنَ الشَّرَابِ اللَّذِيذِ وَانْحَنَى بِأَدَبٍ أَمَامَ الضَّيْفِ وَهُوَ يَقُولُ لَهُ :

ـ تَفَضَّلْ يا سَيِّدِى !!

مَدَّ الضَّيْفُ يَدَهُ إِلَى كُوبِ الشَّرَابِ ، قَبْلَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى وَجْهِ الْفَتَى ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ لِيَشْكُرَهُ ، وَمَا كَادَتْ عَيْنُهُ تَقَعُ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى ارْتَبَكَ وَاضْطَرَبَ ، وَأَوْشَكَ الْكُوبُ أَنْ يَسْقُطَ مِنْ يَدِهِ ، وَلَكِنَّهُ تَنَبَّهَ إِلَى نَفْسِهِ ، وَأَخْفَى ارْتِبَاكَهُ ، وَرَاحَ يَشْرَبُ وَيَتَحَدَّثُ مَعَ الصَّيَّادِ ، وَهُوَ يَنْظُرُ خِفْيَةً بَيْنَ لَحْظَةٍ

وَأُخْرَى إِلَى وَجْهِ الْفَتَى .

* * *

وَأَظُنُّكَ الْآنَ قَدْ عَرَفْتَ سَبَبَ اضْطِرَابِهِ وَارْتِبَاكِهِ ، فَإِنَّهُ كَانَ مَلِكَ الْبِلَادِ ، وَقَدْ خَرَجَ وَحْدَهُ فِي رِحْلَةٍ كَشْفِيَّةٍ ، يُرِيدُ أَنْ يَعْرِفَ بِهَا أَخْبَارَ الشَّعْبِ وَأَسْرَارَهُ ؛ فَلَمَّا رَأَى هِبَةَ السَّمَاءِ عَادَتْ إِلَيْهِ صُورَةُ الْحُلْمِ الْقَدِيمِ الَّذِي رَآهُ مُنْذُ خَمْسَةَ عَشَرَ عَامًا ؛ فَقَدْ كَانَتْ هِيَ صُورَةَ الْفَلَّاحِ الَّذِي قَيَّدَهُ بِالْقُيُودِ ، وَأَلْقَاهُ عَلَى سَرِيرٍ صَغِيرٍ .

وَلَكِنَّهُ تَذَكَّرَ أَنَّ الْجُنُودَ كَانُوا قَدْ أَخْبَرُوهُ

بِأَنَّ الطِّفْلَ مَاتَ وَدُفِنَ أَمَامَ أَعْيُنِهِمْ فِي

ذَلِكَ الْجَبَلِ ، فَهَدَأَتْ نَفْسُهُ وَزَالَتْ مَخَاوِفُهُ

قَلِيلاً ؛ ثُمَّ قَالَ لِلصَّيَّادِ :

— إِنَّ ابْنَكَ لَطِيفٌ جِدًّا ! ! كَمْ عُمُرُهُ الْآنَ؟

أَحَسَّ الصَّيَّادُ كَأَنَّ شَيْئاً خَفِيًّا يَدْفَعُهُ

لِيَقُولَ الصِّدْقَ ، فَانْدَفَعَ يَقُصُّ عَلَى ضَيْفِهِ

قِصَّةَ الْفَتَى كَامِلَةً ، وَخَتَمَهَا بِقَوْلِهِ :

— وَلَكِنَّهُ صَارَ ابْنِي ، الَّذِي يَنْتَسِبُ إِلَيَّ ،

وَيَحْمِلُ اسْمِي وَاسْمَ أُسْرَتِي .

سَمِعَ الْمَلِكُ هَذِهِ الْقِصَّةَ ، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ :

ـــ مَا هَذَا ؟ هَلْ صَنَعَ الْفَلَّاحُ وَزَوْجَتُهُ بِابْنِهِمَا مَا صَنَعَتْهُ أُمُّ مُوسَى بِوَلَدِهَا ، حِينَمَا خَافَتْ أَنْ يَذْبَحَهُ فِرْعَوْنُ ؟ !

ثُمَّ هَزَّ رَأْسَهُ وَهُوَ يُدَبِّرُ أَمْرًا عَزَمَ عَلَيْهِ فِي نَفْسِهِ .

وَبَيْنَمَا كَانَ الْمَلِكُ يُفَكِّرُ هَذِهِ الْأَفْكَارَ الْخَبِيثَةَ ، كَانَ هِبَةُ السَّمَاءِ مَشْغُولًا بِالتَّفْكِيرِ فِي قِصَّتِهِ الَّتِي سَمِعَهَا لِأَوَّلِ مَرَّةٍ مِنَ الصَّيَّادِ الطَّيِّبِ ، الَّذِي كَانَ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ أَبُوهُ .

أَخَذَ الْمَلِكُ يَتَحَدَّثُ مَعَ الصَّيَّادِ ، وَيَنْتَقِلُ مِنْ حَدِيثٍ إِلَى حَدِيثٍ ، حَتَّى كَشَفَ لَهُ حَقِيقَةَ نَفْسِهِ فِي النِّهَايَةِ ، وَأَفْهَمَهُ أَنَّهُ كَانَ فِيمَا مَضَى لَا يَعْرِفُ أَخْبَارَ رَعِيَّتِهِ الْحَقِيقِيَّةَ ، لِأَنَّهُ كَانَ يَسْمَعُهَا مِنَ الْجُنُودِ وَالْوُزَرَاءِ ، وَأَنَّهُ يُرِيدُ الْآنَ أَنْ يَعْرِفَ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الْأَخْبَارِ بِنَفْسِهِ ؛ وَلِهَذَا خَرَجَ مُتَنَكِّرًا يَطُوفُ بِالْبِلَادِ ، وَيُشَاهِدُ أَحْوَالَهَا بِعَيْنَيْهِ .

فَوَقَفَ الصَّيَّادُ وَزَوْجَتُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ،

وَأَخَذَا يَقُصَّانِ عَلَيْهِ كُلَّ مَا يَعْرِفَانِ مِنْ أَخْبَارِ الْإِقْلِيمِ الَّذِى يَعِيشَانِ فِيهِ . وَكَانَ الْمَلِكُ يُظْهِرُ رِضَاهُ وَسُرُورَهُ بِمَا سَمِعَ مِنْهُمَا. وَأَخِيرًا قَالَ :

— وَلَكِنِّى الْآنَ فِى حَاجَةٍ إِلَى رَسُولٍ ذَكِىٍّ أَبْعَثُهُ إِلَى الْمَلِكَةِ بِرِسَالَةٍ فِى أَمْرٍ مُهِمٍّ ، نَسِيتُ أَنْ أُخْبِرَهَا بِهِ . فَهَلْ يَسْتَطِيعُ هِبَةُ السَّمَاءِ أَنْ يَحْمِلَ الرِّسَالَةَ ؟

— ٥ —

حَمَلَ هِبَةُ السَّمَاءِ رِسَالَةَ الْمَلِكِ ، وَهُوَ

يَنْحَنِى أَمَامَهُ بِأَدَبٍ وَيَقُولُ :

ـ هٰذَا يَا مَوْلَاىَ شَرَفٌ كَبِيرٌ ! !

وَسَارَ فِي طَرِيقِهِ وَهُوَ مَشْغُولٌ بِالتَّفْكِيرِ فِى كُلِّ مَا رَآهُ وَمَا سَمِعَهُ فِى يَوْمِهِ ، وَلِذٰلِكَ تَاهَ فِى الطَّرِيقِ ، وَتَعِبَ فِى السَّيْرِ . وَقُرْبَ آخِرِ النَّهَارِ ، وَجَدَ نَفْسَهُ فِى غَابَةٍ كَثِيفَةٍ ، وَرَأَى عَلَى مَسَافَةٍ مِنَ الطَّرِيقِ كُوخًا صَغِيرًا وَسَطَ الْغَابَةِ فَسَارَ إِلَيْهِ . .

وَمَا كَادَ يَطْرُقُ بَابَ الْكُوخِ ، حَتَّى فَتَحَتْ لَهُ سَيِّدَةٌ عَجُوزٌ ، وَقَالَتْ لَهُ :

— مَاذَا أَتَى بِكَ إِلَى هُنَا أَيُّهَا الْفَتَى الْمِسْكِينُ؟!

وَقَبْلَ أَنْ تَسْمَعَ جَوَابَهُ ، كَانَتْ رِجْلُهُ قَدْ سَبَقَتْهُ إِلَى الدَّاخِلِ ، وَهُوَ يَقُولُ لَهَا :

— إِنِّي أَسِيرُ مُنْذُ الصَّبَاحِ يَاسَيِّدَتِي ، وَأَكَادُ أَمُوتُ مِنَ التَّعَبِ وَالْعَطَشِ وَالْجُوعِ ، وَلَابُدَّ أَنْ أَسْتَرِيحَ هُنَا اللَّيْلَةَ ! !

أَشْفَقَتْ عَلَيْهِ السَّيِّدَةُ وَأَدْخَلَتْهُ وَهِيَ تَقُولُ لِنَفْسِهَا :

— مَنْ يَدْرِي ! ! رُبَّمَا يَرْحَمَانِهِ ، وَيُشْفِقَانِ عَلَى شَبَابِهِ وَجَمَالِهِ ! !

وَقَدَّمَتْ لَهُ طَعَامًا وَشَرَابًا ، فَأَكَلَ كَثِيرًا وَأَحَسَّ بِحَاجَتِهِ إِلَى النَّوْمِ ، فَنَامَ فِي جَانِبٍ مِنَ الْحُجْرَةِ . وَبَعْدَ قَلِيلٍ حَضَرَ وَلَدَاهَا ، وَكَانَا لِصَّيْنِ خَطِيرَيْنِ ، فَلَمَّا وَجَدَاهُ نَائِمًا أَرَادَا أَنْ يَقْتُلَاهُ ، حَتَّى لَا يَعْرِفَ سِرَّهُمَا الَّذِي لَمْ يَعْرِفْهُ أَحَدٌ قَبْلَهُ . وَلَكِنَّهُمَا حِينَمَا نَظَرَا إِلَى وَجْهِهِ ، شَعَرَا بِأَنَّهُمَا يُحِبَّانِهِ وَيَعْطِفَانِ عَلَيْهِ .

وَكَعَادَتِهِمَا دَائِمًا أَخَذَا يُفَتِّشَانِ مَلَابِسَهُ لَعَلَّهُمَا يَجِدَانِ فِيهَا شَيْئًا ثَمِينًا يَأْخُذَانِهِ ، فَعَثَرَا عَلَى الرِّسَالَةِ فِي جَيْبِهِ ، وَفَتَحَهَا الْأَكْبَرُ

وَقرَأَهَا وَقَالَ بِصَوْتٍ حَزِينٍ :

ـــ يَا لِلْهَوْلِ ! ! إِنَّهُ يَحْمِلُ رِسَالَةً فِيهَا هَلاكُهُ ! ! مَاذَا صَنَعَ هٰذَا الْمِسْكِينُ حَتَّىٰ يَأْمُرَ الْمَلِكُ الظَّالِمُ بِذَبْحِه ؟ !

وَهُنَا قَالَ الْأَصْغَرُ وَكَانَ مَاهِرًا فِي تَقْلِيدِ الْخَطِّ :

ـــ حَسَنٌ ! ! هَيَّا نَسْخَرْ مِنَ الْمَلِكِ ! !

وَأَخَذَ رِسَالَةً وَكَتَبَ فِيهَا لِلْمَلِكَةِ أَمْرًا آخَرَ :

« أَيَّتُهَا الْمَلِكَةُ الْمُعَظَّمَةُ ، إِنِّي اخْتَرْتُ

هَذَا الْفَتَى مِنَ الشَّعْبِ، لِيَكُونَ زَوْجَ ابْنَتِنَا الْوَحِيدَةِ ، إِنَّهُ خَيْرُ فَتًى رَأَتْهُ عَيْنِى ، فَإِذَا وَصَلَ إِلَيْكِ فَأَقِيمِى الْأَفْرَاحَ وَزَوِّجِيهِ فِى الْحَالِ ، وَلَا تَنْتَظِرِى عَوْدَتِى !! وَالْحَذَرَ مِنَ التَّرَدُّدِ أَوِ التَّأْخِيرِ».

وَلَمَّا تَمَّتِ الرِّسَالَةُ ، وَقَّعَ عَلَيْهَا بِتَوْقِيعِ الْمَلِكِ وَأَقْفَلَهَا، وَأَعَادَهَا إِلَى جَيْبِ الْفَتَى.

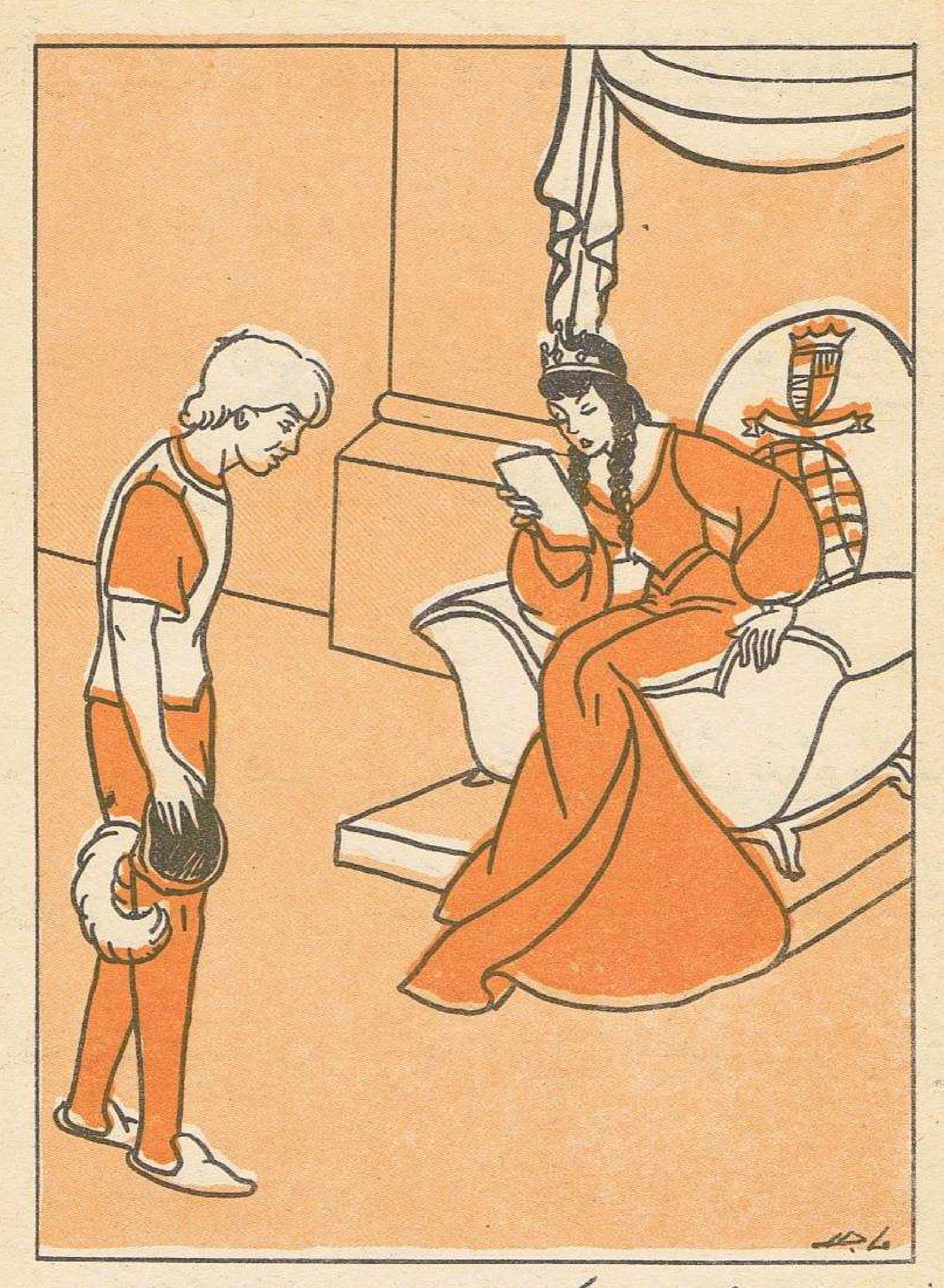
صَحَا هِبَةُ السَّمَاءِ فِى الصَّبَاحِ، فَوَجَدَ الرِّسَالَةَ فِى جَيْبِهِ كَمَا كَانَتْ ، وَشَكَرَ لِلسَّيِّدَةِ إِكْرَامَهَا وَحُسْنَ ضِيَافَتِهَا ، وَتَرَكَهَا وَسَارَ

حَتَّى وَصَلَ إِلَى قَصْرِ الْمَلِكِ ! !

فَرَأَتِ الْمَلِكَةُ الرِّسَالَةَ وَكَادَ عَقْلُهَا يَطِيرُ مِنَ الدَّهْشَةِ وَالِاسْتِغْرَابِ ، وَدَعَتْ كَبِيرَ الْوُزَرَاءِ ، وَأَشْرَكَتْهُ مَعَهَا فِي الْأَمْرِ ، وَبَعْدَ تَفْكِيرٍ طَوِيلٍ قَالَا :

— إِنَّ أَوَامِرَ الْمَلِكِ يَجِبُ أَنْ تُطَاعَ وَأَنْ تُنَفَّذَ فِي الْحَالِ ! !

وَعَرَفَتِ الْأَمِيرَةُ الصَّغِيرَةُ قِصَّةَ الرِّسَالَةِ ، فَعَارَضَتْ وَغَضِبَتْ ، وَلَكِنَّهَا عِنْدَمَا رَأَتْ هَيْبَةَ السَّمَاءِ ، طَابَتْ نَفْسُهَا ، وَأَحَسَّتْ



قرأت الملكة الرسالة .. ص ٣٦

أَنَّ السَّعَادَةَ تَغْمُرُ قَلْبَهَا، فَوَافَقَتْ وَرَضِيَتْ.

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي أُقِيمَتِ الْأَفْرَاحُ فِي الْمَدِينَةِ كُلِّهَا، وَعُقِدَ الْعَقْدُ، وَتَمَّ زَوَاجُ ...ـةِ السَّمَاءِ بِابْنَةِ الْمَلِكِ.

٭ ٭ ٭

وَلَكِنْ قَبْلَ أَنْ يَتِمَّ الزِّفَافُ بِيَوْمٍ وَاحِدٍ. عَادَ الْمَلِكُ مِنْ غَيْبَتِهِ. وَعَرَفَ كُلَّ مَا حَدَثَ. فَكَادَ صَدْرُهُ يَتَمَزَّقُ مِنَ الْغَيْظِ، وَكَادَ أَنْ يَفْتِكَ بِالْمَلِكَةِ وَالْوَزِيرِ، لَوْلَا أَنَّ الْمَلِكَةَ كَانَتْ حَرِيصَةً وَحَذِرَةً، فَاحْتَفَظَتْ

بِرِسَالَةِ الْمَلِكِ ، وَقَدَّمَتْهَا إِلَيْهِ عِنْدَمَا اتَّهَمَهَا بِمُخَالَفَةِ أَمْرِهِ فِي رِسَالَتِهِ .

لَمْ يَشُكَّ الْمَلِكُ فِي أَنَّ الْخَطَّ خَطُّهُ ، وَأَنَّ التَّوْقِيعَ تَوْقِيعُهُ ، وَلَكِنَّهُ صَاحَ بِغَضَبٍ :

— لَا . . لَنْ يَتِمَّ الزَّوَاجُ ! !

سَمِعَتِ الْأَمِيرَةُ صَيْحَةَ أَبِيهَا ، وَخَافَتْ أَنْ يَحْدُثَ لِزَوْجِهَا مَكْرُوهٌ ، فَأَسْرَعَتْ إِلَى أَبِيهَا ، وَرَمَتْ نَفْسَهَا بَيْنَ ذِرَاعَيْهِ ، وَهِيَ تَبْكِي قَائِلَةً :

— أُتْرُكْهُ لِي ! إِنَّنِي أُحِبُّ زَوْجِي ، وَلَا

أَسْتَطِيعُ أَنْ أُفَارِقَهُ أَوْ أَعِيشَ بَعِيدَةً عَنْهُ .

تَظَاهَرَ الْمَلِكُ بِالْعَطْفِ عَلَى الْأَمِيرَةِ ، وَلَكِنَّ قَلْبَهُ كَانَ يَغْلِى مِنَ الْغَيْظِ . وَكَانَ خَوْفُهُ عَلَى مُلْكِهِ يَمْلَأُ نَفْسَهُ وَيُزْعِجُهُ أَشَدَّ الْإِزْعَاجِ ، فَدَعَا هِبَةَ السَّمَاءِ وَقَالَ لَهُ بِخُبْثٍ وَمَكْرٍ :

ـــ أَنْتَ شَابٌّ ذَكِيٌّ ، وَقَدْ رَضِيتُ عَنْ زَوَاجِكَ مِنِ ابْنَتِى . . بَلْ أَنَا الَّذِى أَمَرْتُ بِهِ ، فِي رِسَالَتِى . وَلَكِنْ لَا تَنْسَ أَنَّكَ لَمْ تُقَدِّمْ لَهَا مَهْرًا ! ! وَلَنْ أَطْلُبَ مِنْكَ

مَالاً ، وَلَكِنِّى أَطْلُبُ عَمَلاً .

فَرِحَ الْفَتَى وَشَعَرَ بِالسَّعَادَةِ تُرَفْرِفُ عَلَيْهِ ، وَقَالَ :

— إِنِّى مُسْتَعِدٌّ أَنْ أَقُومَ بِأَىِّ عَمَلٍ يُرْضِى مَوْلَاىَ الْمَلِكَ ! !

فَقَالَ الْمَلِكُ :

— حَسَنٌ ! ! إِنَّ مَهْرَهَا ثَلَاثُ شَعَرَاتٍ ذَهَبِيَّةٍ ، فِى ذَقَنِ الْمَارِدِ الطَّيَّارِ ! !

سَمِعَتِ الْأَمِيرَةُ كَلَامَ أَبِيهَا ، وَعَرَفَتْ أَنَّهُ يُرِيدُ الشَّرَّ بِزَوْجِهَا ، وَكَذَلِكَ عَرَفَ هِبَةُ

السَّمَاءِ أَنَّ الْمَلِكَ غَيْرُ رَاضٍ عَنْ زَوَاجِهِ ،
وَأَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتَخَلَّصَ مِنْهُ بِحِيلَةٍ شِرِّيرَةٍ .
وَلَكِنَّهُ مَعَ ذَلِكَ لَمْ يَقْبَلْ أَنْ يَظْهَرَ بِمَظْهَرِ
الضَّعِيفِ الْمُتَرَدِّدِ ، فَقَالَ بِصَوْتٍ شُجَاعٍ :
ـــ سَأَفْعَلُ يَامَوْلَاىَ !!

ـ ٦ ـ

تَرَكَ الْفَتَى الْقَصْرَ الْمَلَكِىَّ وَرَاءَهُ ،
وَسَارَ فِى طَرِيقِهِ يَبْحَثُ عَنِ الْمَارِدِ الطَّيَّارِ ،
الَّذِى لَا يَعْرِفُ أَيْنَ يَسْكُنُ ، وَلَا فِى أَىِّ
الْبِلَادِ يُقِيمُ . وَبَيْنَمَا هُوَ سَائِرٌ فِى الطَّرِيقِ ،

وَجَدَ شَيْخًا هَرِمًا ، يَحْمِلُ حُزْمَةً كَبِيرَةً مِنَ الْحَطَبِ ، وَيَتَعَثَّرُ فِي مِشْيَتِهِ ؛ لِثِقَلِ حِمْلِهِ ، وَكِبَرِ سِنِّهِ ، فَأَشْفَقَ عَلَيْهِ ، وَحَمَلَ الْحُزْمَةَ عَنْهُ .

وَأَخَذَ يَتَحَدَّثُ مَعَهُ .. وَفِي أَثْنَاءِ الْحَدِيثِ عَرَفَ الشَّيْخُ أَنَّ الْفَتَى خَرَجَ فِي طَلَبِ الْمَارِدِ الطَّيَّارِ ، وَعَرَفَ قِصَّتَهُ مَعَ الْمَلِكِ فَقَالَ :

— هَلْ أَنْتَ وَاثِقٌ مِنْ إِخْلَاصِ الْمَلِكِ لَكَ ؟ إِنَّ كُلَّ مَنْ يَصِلُ إِلَى الْمَارِدِ لَا يَعُودُ مِنْ

رِحْلَتِهِ . . وَحَاوَلَ أَنْ يَصْرِفَهُ عَنْ عَزْمِهِ،
وَأَنَّ يُغَيِّرَ طَرِيقَهُ ، وَلَكِنَّ الْفَتَى قَالَ :
ـ لَا يَا عَمِّ !! لَنْ أَرْجِعَ قَبْلَ أَنْ أَجِدَ
الْمَارِدَ الطَّيَّارَ ، وَأُحْضِرَ شَعَرَاتِهِ الذَّهَبِيَّةَ،
سَوَاءٌ أَكَانَ الْمَلِكُ مُخْلِصًا أَمْ غَيْرَ مُخْلِصٍ؛
فَقَدْ وَعَدْتُهُ بِذَلِكَ ، وَإِخْلَافُ الْوَعْدِ
لَا يَلِيقُ بِرَجُلٍ مِثْلِي ، وَالْمَوْتُ أَهْوَنُ عِنْدَ
الرِّجَالِ مِنَ الْجُبْنِ وَالضَّعْفِ وَإِخْلَافِ الْوَعْدِ!!
سَمِعَ الشَّيْخُ هَذَا الْكَلَامَ الْجَمِيلَ ، فَقَالَ :
ـ نَعَمْ هَذِهِ صِفَاتُ الرِّجَالِ ! ! فَسِرْ فِي

طَرِيقِكَ ، وَاللّهُ يَحْفَظُكَ وَيَرْعَاكَ ،
وَسَأُخْبِرُكَ بِمَقَرِّ الْمَارِدِ . إِنَّهُ هُنَاكَ خَلْفَ
النَّهْرِ الْأَزْرَقِ ، وَسَتَرَى كُوخًا أَبْيَضَ كَأَنَّهُ
مَبْنِيٌّ بِأَلْوَاحٍ مِنَ الثَّلْجِ . إِنَّهُ كُوخُهُ الَّذِى
يَنَامُ فِيهِ لَيْلاً . أَمَّا نَهَارُهُ فَإِنَّهُ يَقْضِيهِ
مُتَنَقِّلاً بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ! !

وَسَتَجِدُ فِى طَرِيقِكَ مَدِينَةً كَبِيرَةً ،
قَبْلَ أَنْ تَصِلَ إِلَى النَّهْرِ ، فَاسْتَرِحْ فِيهَا قَلِيلاً ،
وَإِذَا سَأَلَكَ أَحَدٌ فِى طَرِيقِكَ عَنْ شَىْءٍ ،
فَقُلْ إِنِّى أَعْرِفُ مَا تَسْأَلُ عَنْهُ ، وَلَكِنِّى

لَا أُجِيبُ عَنْ سُؤَالِكَ إِلَّا عِنْدَ عَوْدَتِي .

و و و

وَكَانَ الشَّيْخُ قَدْ وَصَلَ إِلَى إِحْدَى الْقُرَى فِي الطَّرِيقِ ، فَأَخَذَ حُزْمَتَهُ ، وَكَرَّرَ شُكْرَهُ لِهِبَةِ السَّمَاءِ ، وَافْتَرَقَا . .

وَصَلَ هِبَةُ السَّمَاءِ بَعْدَ قَلِيلٍ إِلَى مَدِينَةٍ كَبِيرَةٍ ، لَمْ تَرَ عَيْنُهُ مِثْلَهَا مِنْ قَبْلُ . . فَقَدْ كَانَتْ مَبَانِيهَا كُلُّهَا تَقُومُ عَلَى أَعْمِدَةٍ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَكَانَتْ أَبْوَابُهَا وَشَبَابِيكُهَا مُطَعَّمَةً بِالْجَوَاهِرِ النَّادِرَةِ .

وَكَانَ لَهَا سُورٌ كَبِيرٌ يُحِيطُ بِهَا ، وَفِي السُّورِ بَابٌ عَلَيْهِ حُرَّاسٌ أَشِدَّاءُ يُرَاقِبُونَ الدَّاخِلِينَ وَالْخَارِجِينَ .

حَيَّا هِبَةُ السَّمَاءِ الْحُرَّاسَ بِأَدَبٍ ، وَطَلَبَ مِنْهُمْ أَنْ يَسْمَحُوا لَهُ بِدُخُولِ الْمَدِينَةِ لِيَسْتَرِيحَ ، وَكَانَ يَخَافُ أَنْ يَمْنَعُوهُ مِنْ دُخُولِهَا ، وَلَكِنَّهُمْ اسْتَقْبَلُوهُ اسْتِقْبَالاً حَسَنًا ، وَسَارُوا بِهِ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي يَسْتَرِيحُونَ فِيهِ بِجَانِبِ الْبَابِ. وَقَدَّمُوا إِلَيْهِ شَرَابًا وَطَعَامًا حَتَّى أَنِسَ بِهِمْ وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِمْ ، وَلَمَّا أَبْدَى إِعْجَابَهُ بِمَدِينَتِهِمْ

قَالَ لَهُ كَبِيرُهُمْ :

ــ إِنَّهَا مَدِينَةٌ بَائِسَةٌ ، فَمُنْذُ أَيَّامٍ جَفَّ مَاءُ الْبِئْرِ الَّتِي تَسْقِيهَا . وَالسُّكَّانُ الْآنَ مُشْرِفُونَ عَلَى الْمَوْتِ وَالْهَلَاكِ ، وَقَدْ حَاوَلْنَا أَنْ نَعْرِفَ سَبَبَ جَفَافِ الْمَاءِ فَلَمْ نَقْدِرْ . فَهَلْ تَعْرِفُ السَّبَبَ أَيُّهَا الْفَتَى؟! إِنِّي أَرَاكَ ذَكِيًّا ، وَاسِعَ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ !!

ابْتَسَمَ هِبَةُ السَّمَاءِ ابْتِسَامَةً مُطْمَئِنَّةً وَقَالَ لَهُ :

ــ نَعَمْ أَعْرِفُ السَّبَبَ . وَلَكِنِّي الْآنَ مُسْتَعْجِلٌ ،

وَعِنْدَ عَوْدَتِي أُخْبِرُكُمْ بِهِ ، بَلْ سَأَمْكُثُ فِي مَدِينَتِكُمْ حَتَّى أُعِيدَ الْمَاءَ إِلَيْكُمْ !!

وَوَدَّعَهُمْ وَانْصَرَفَ .

و و و

وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى شَاطِئِ النَّهْرِ الْأَزْرَقِ ، لَمْ يَجِدْ عَلَيْهِ جُسُورًا ، وَلَمْ يَجِدْ فِيهِ زَوَارِقَ ، وَكَانَ مَاؤُهُ يَجْرِي وَيَفُورُ ، وَأَمْوَاجُهُ تَرْتَفِعُ وَتَتَدَافَعُ ؛ فَوَقَفَ حَائِرًا خَائِفًا . وَلَكِنَّهُ بَعْدَ قَلِيلٍ أَبْصَرَ زَوْرَقًا صَغِيرًا يُقْبِلُ مِنَ الشَّاطِئِ الْآخَرِ ، كَأَنَّهُ بَجَعَةٌ

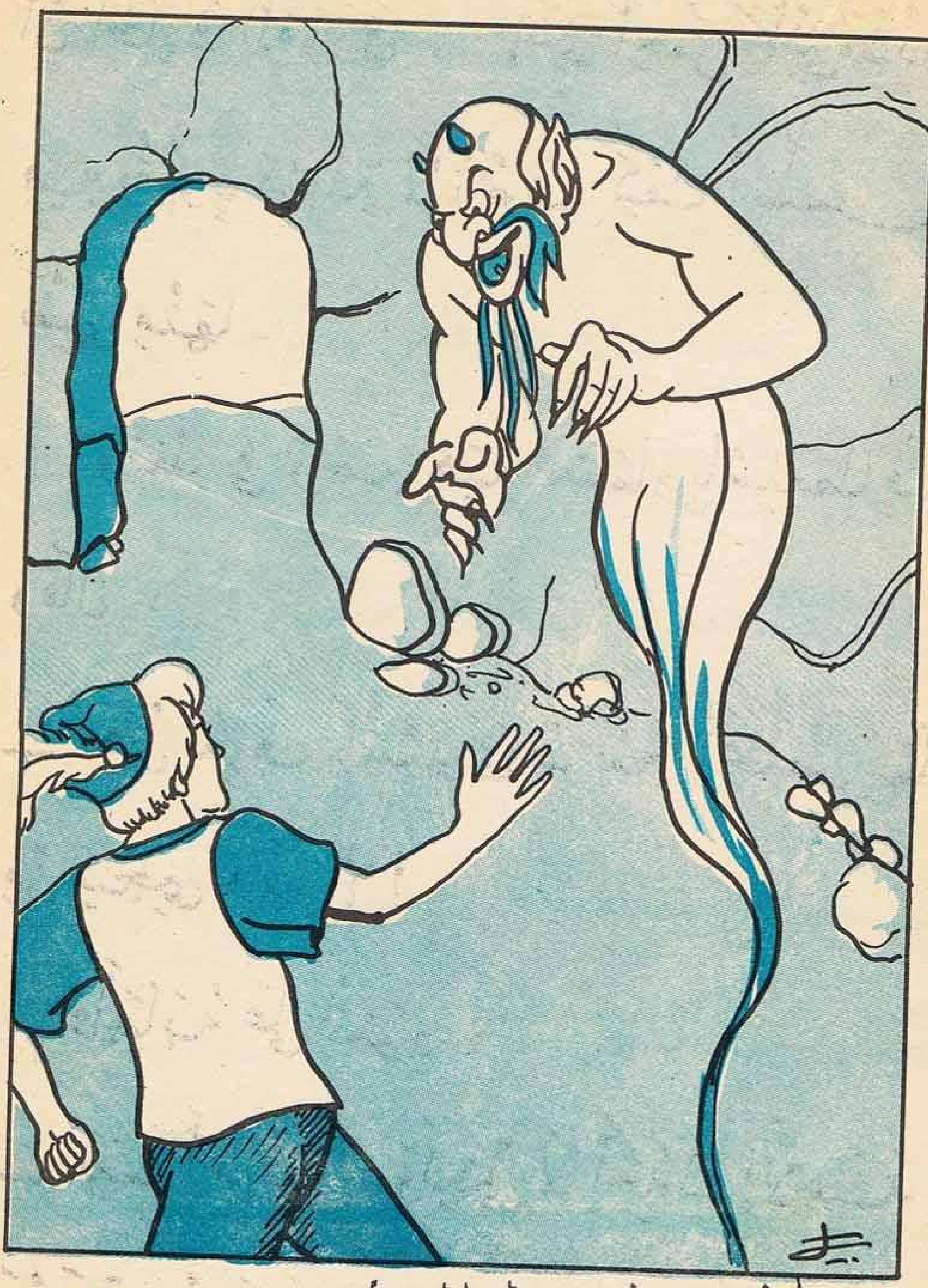
تَسْبَحُ فِى مَاءِ بُحَيْرَةٍ وَاسِعَةٍ .

وَقَفَ الزَّوْرَقُ أَمَامَهُ عَلَى الشَّاطِئِ ، فَطَلَبَ مِنَ الْمَلَّاحِ الْوَحِيدِ الَّذِى يَرْكَبُهُ ، أَنْ يَنْقُلَهُ مِنْ جِهَةٍ إِلَى جِهَةٍ ؛ فَرَحَّبَ بِهِ الْمَلَّاحُ وَقَالَ لَهُ :

ـــ إِنَّنِى هُنَا مُنْذُ زَمَنٍ بَعِيدٍ ، وَلَا عَمَلَ لِى إِلَّا نَقْلُ الرُّكَّابِ مِنْ شَاطِئٍ إِلَى شَاطِئٍ .

وَبَيْنَمَا هُمَا يَعْبُرَانِ النَّهْرَ ، ارْتَفَعَ صَوْتُ الْمَلَّاحِ بِالشَّكْوَى ، وَقَالَ :

ـــ لَقَدْ سَئِمْتُ هَذِهِ الْحَيَاةَ ، وَلَكِنِّى لَا أَسْتَطِيعُ



وانتفض فتحول إلى مارد .. ص ٥٥

أَنْ أُفَارِقَ الزَّوْرَق . . إِنَّنِي أُحِسُّ كَأَنَّنِي مَشْدُودٌ فِيهِ بِقُيُودٍ مَتِينَةٍ لَا أَعْرِفُ كَيْفَ أُخَلِّصُ نَفْسِي مِنْهَا .

وَنَظَرَ فِي وَجْهِ هِبَةِ السَّمَاءِ بِاسْتِعْطَافٍ وَقَالَ :

— هَلْ تَعْرِفُ يَاسَيِّدِي طَرِيقَةً أَتَخَلَّصُ بِهَا مِنْ سِجْنِي هَذَا ؟!

فَأَجَابَهُ عَلَى الْفَوْرِ :

— نَعَمْ أَعْرِفُ . وَلَكِنِّي لَا أُخْبِرُكَ إِلَّا عِنْدَ عَوْدَتِي مِنْ سَفَرِي !!

وَما كادَ هِبَةُ السَّماءِ يَخْرُجُ مِنَ الزَّوْرَقِ

إِلَى الشَّاطِئِ الآخَرِ ، حَتَّى رَأَى الكُوخَ الَّذِي

حَدَّثَهُ عَنْهُ الشَّيْخُ مِنْ قَبْلُ ؛ فَأَخَذَ يَجْرِي

إِلَيْهِ بِفَرْحَةٍ زَائِدَةٍ . وَطَرَقَ بَابَهُ بِلُطْفٍ

وَأَدَبٍ ، فَسَمِعَ ضِحْكَةً لَطِيفَةً ، وَصَوْتًا

هَادِئًا يَقُولُ :

ـ هَلْ وَصَلْتَ يا هِبَةَ السَّماءِ ؟! تَعالَ !!

تَعالَ أَيُّها الفَتَى السَّعِيدُ !!

وَفُتِحَ البابُ فَأَحْدَثَ صَوْتًا مُوسِيقِيًّا

عَذْبًا ، وَأَطَلَّ مِنْهُ الشَّيْخُ الَّذِي كانَ يَحْمِلُ

الْحُزْمَةَ فِى الطَّرِيقِ ! ! كَادَهِبَةُ السَّمَاءِ
يَصِيحُ بِدَهْشَةٍ وَرَهْبَةٍ ، وَلَكِنَّ الشَّيْخَ
أَسْرَعَ فَمَدَّ إِلَيْهِ يَدَهُ ، وَسَارَ بِهِ إِلَى دَاخِلِ
الْكُوخِ ، وَلَاطَفَهُ حَتَّى عَادَ إِلَيْهِ هُدُوءُهُ
وَسُكُونُهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ :

ــ هَلْ تُحِبُّ أَنْ تَرَى الْمَارِدَ الطَّيَّارَ ؟!

فَأَجَابَ :

ــ نَعَمْ يَاعَمُّ ! ! وَمَاجِئْتُ إِلَّا لِرُؤْيَتِهِ !!

فَقَالَ الشَّيْخُ :

ــ إِذَنْ تَشَجَّعْ وَلَا تَخَفْ !!

وَانْتَفَضَ فَتَحَوَّلَ إِلَى مَارِدٍ هَائِلٍ ،
تَتَدَلَّى مِنْ ذَقْنِهِ ثَلَاثُ شَعَرَاتٍ ذَهَبِيَّةٍ ،
تُضِيءُ الظَّلَامَ . وَخَشِيَ أَنْ يَطُولَ خَوْفُ
الْفَتَى وَفَزَعُهُ مِنْ صُورَتِهِ الْجَدِيدَةِ ؛
فَشَدَّ الشَّعَرَاتِ الثَّلَاثَ حَتَّى قَلَعَهَا بِسُرْعَةٍ ،
ثُمَّ عَادَ إِلَى صُورَةِ الشَّيْخِ الْأُولَى ، وَقَالَ لَهُ
وَهُوَ يُعْطِيهِ الشَّعَرَاتِ :
ـــ إِنَّهَا أَعَزُّ مَا أَمْلِكُهُ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ ،
وَهِيَ سِرُّ قُوَّتِي الَّتِي أَعْمَلُ بِهَا مَا أُرِيدُ ،
وَلَكِنَّكَ صَنَعْتَ مَعِي جَمِيلًا كَبِيرًا ، دُونَ

أَنْ تَعْرِفَنِى ، فَوَجَبَ عَلَىَّ أَنْ أَرُدَّ جَمِيلَكَ
بِأَحْسَنَ مِنْهُ ، فَخُذْهَا وَعُدْ إِلَى عَرُوسِكَ !!
وَابْتَسَمَ ابْتِسَامَةً لَطِيفَةً وَهُوَ يَقُولُ :
وَلَكِنْ هَلْ يَرْضَى الْمَلِكُ ؟! مَا أَظُنُّ !!

و و و

تَنَاوَلَ هِبَةُ السَّمَاءِ الشَّعَرَاتِ مِنْ
يَدِهِ ، وَشَعَرَ بِأَنَّهُ أَسْعَدُ مَخْلُوقٍ فِى
الدُّنْيَا ، لَوْلَا أَنَّهُ تَذَكَّرَ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ فَقَالَ :
ـــ شُكْرًا لَكَ يَا سَيِّدِى !! إِنَّكَ أَحْسَنْتَ
إِلَىَّ أَعْظَمَ إِحْسَانٍ ! وَهَمَسَ فِى نَفْسِهِ

قَائِلاً :

ـــ لَوْ كَانَ الْمَرَدَةُ جَمِيعًا مُتَّصِفِينَ بِهٰذِهِ الْأَخْلَاقِ الطَّيِّبَةِ ، لَوَجَبَ عَلَيْنَا أَنْ نُحِبَّهُمْ ، وَنَثِقَ بِهِمْ ، وَنَذْكُرَهُمْ بِالْخَيْرِ دَائِمًا !!

سَمِعَ الْمَارِدُ هَمْسَهُ ، وَضَحِكَ ضِحْكَةً عَالِيَةً ، ثُمَّ قَالَ :

ـــ لَقَدْ نَسِيتَ شَيْئًا مُهِمًّا يَاهِبَةَ السَّمَاءِ .. نَسِيتَ أَنَّ قَلْبَكَ الطَّاهِرَ هُوَ الَّذِى جَعَلَنِى أُحْسِنُ إِلَيْكَ !!

ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلى كَتِفِهِ بِرِفْقٍ وَهُوَ يُتَمِّمُ حَدِيثَهُ قَائِلاً :

ــ إِنَّ فِي اسْتِطَاعَةِ الْإِنْسَانِ أَنْ يَكْسِبَ جَمِيعَ الْقُلُوبِ . حَتَّى قُلُوبَ الْأَشْرَارِ ، إِذَا امْتَلَأَ قَلْبُهُ شَفَقَةً وَرَحْمَةً بِالضُّعَفَاءِ !!

وَهُنَا تَذَكَّرَ هِبَةُ السَّمَاءِ شَيْئاً كَانَ قَدْ نَسِيَهُ فَقَالَ :

ــ مَا أَكْثَرَ الضُّعَفَاءَ وَالْمَسَاكِينَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ !! وَلَيْتَنَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نُخَفِّفَ مَصَائِبَ النَّاسِ !! إِنَّ الْمَلَّاحَ مِسْكِينٌ ! وَإِنَّ

سُكَّانَ الْمَدِينَةِ مَسَاكِينُ !!

وَلَكِنِّى لَا أَعْرِفُ كَيْفَ أُسَاعِدُهُمْ.

فَقَالَ الشَّيْخُ :

— إِذَا عَبَرْتَ النَّهْرَ الْأَزْرَقَ ، وَخَرَجْتَ مِنَ الزَّوْرَقِ ، فَقُلْ لِلْمَلَّاحِ : إِنَّهُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَخَلَّصَ مِنْ سِجْنِهِ ، إِذَا تَرَكَ الْمِجْدَافَ لِأَوَّلِ رَاكِبٍ مَعَهُ . أَمَّا سُكَّانُ الْمَدِينَةِ ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ فِى الْبِئْرِ ضِفْدِعًا يَشْرَبُ الْمَاءَ ، فَإِذَا أَرَادُوا أَنْ يَعُودَ إِلَيْهِمُ الْمَاءُ ، فَعَلَيْهِمْ أَنْ يُخْرِجُوا الضِّفْدِعَ وَيَقْتُلُوهُ !!

أَخْبَرَ هِبَةُ السَّمَاءِ الْمَلَّاحَ بِمَا سَمِعَهُ مِنَ الْمَارِدِ فَقَالَ الْمَلَّاحُ :

ـــ أَكْمِلْ جَمِيلَكَ يَاسَيِّدِى ، وَأَرْسِلْ إِلَيَّ إِنْسَاناً شِرِّيرًا يَسْتَحِقُّ السِّجْنَ مَدَى الْحَيَاةِ .

أَمَّا سُكَّانُ الْمَدِينَةِ فَإِنَّهُمْ عِنْدَمَا رَأَوُا الْمَاءَ يَتَدَفَّقُ مِنَ الْبِئْرِ كَمَا كَانَ أَقَامُوا الْأَفْرَاحَ ، وَجَمَعُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ هَدِيَّةً فَاخِرَةً ، وَقَدَّمُوهَا لِهِبَةِ السَّمَاءِ .

ـ ٧ ـ

وَصَلَ هِبَةُ السَّمَاءِ إِلَى قَصْرِ الْمَلِكِ

وَمَعَهُ الشَّعَرَاتُ الذَّهَبِيَّةُ ، وَمَعَهُ كَثِيرٌ مِنَ الْجَوَاهِرِ وَالْهَدَايَا ، فَاغْتَاظَ الْمَلِكُ أَشَدَّ غَيْظٍ ، وَكَانَ يَظُنُّ أَنَّ الْفَتَى لَنْ يَعُودَ مَرَّةً أُخْرَى ، وَلَكِنَّهُ حِينَمَا رَأَى هَذِهِ الْجَوَاهِرَ ، طَمِعَ فِيهَا وَسَأَلَ هِبَةَ السَّمَاءِ :

ـــ مِنْ أَيْنَ أَحْضَرْتَهَا ؟ ! لَيْتَكَ أَحْضَرْتَ مِنْهَا الْكَثِيرَ !!

فَقَالَ هِبَةُ السَّمَاءِ ، وَقَدْ رَأَى الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الْمَلِكِ ، وَعَرَفَ أَنَّهُ يَسْتَحِقُّ السِّجْنَ :

ـــ هُنَاكَ يَامَوْلَايَ وَرَاءَ النَّهْرِ الْأَزْرَقِ كُوخٌ

الْمَارِدِ الطَّيَّارِ ، الَّذِى قَتَلْتُهُ وَأَحْضَرْتُ شَعَرَاتِهِ الذَّهَبِيَّةَ .. إِنَّهُ مَلِيءٌ بِالْكُنُوزِ وَالْجَوَاهِرِ !!

سَمِعَ الْمَلِكُ الشِّرِّيرُ هَذَا الْكَلَامَ ، فَلَمْ يَنْتَظِرْ . بَلْ جَمَعَ خَاصَّتَهُ وَكِبَارَ رِجَالِهِ ، وَسَارُوا جَمِيعًا إِلَى الْكُوخِ ..

وَلَكِنَّهُمْ سَارُوا وَلَمْ يَعُودُوا ! هَلْ قَضَوْا حَيَاتَهُمْ فِي الزَّوْرَقِ ؟ هَلْ قَتَلَهُمُ الْمَارِدُ ؟ لَا أَحَدَ يَدْرِى !!

و و و

وَلَمَّا طَالَتْ غَيْبَةُ الْمَلِكِ وَرِجَالِهِ ، اجْتَمَعَ أَبْنَاءُ

الشَّعْبِ وَأَلْبَسُوا هِبَةَ السَّمَاءِ التَّاجَ ، وَزَيَّنُوهُ بِالشَّعَرَاتِ الذَّهَبِيَّةِ الثَّلَاثِ .

وَلَمْ يَنْسَ أَنْ يَبْحَثَ عَنْ أُمِّهِ وَأَبِيهِ ، وَأَنْ يَدْعُوهُمَا لِلْإِقَامَةِ فِي قَصْرِهِ . أَمَّا الصَّيَّادُ الطَّيِّبُ فَقَدْ جَعَلَهُ وَزِيرَهُ .

وَصَارَ يَحْكُمُ الشَّعْبَ حُكْماً عَادِلاً رَحِيماً ، فَكَثُرَ الْخَيْرُ فِي الْبِلَادِ ، وَعَاشَ هِبَةُ السَّمَاءِ سَعِيداً بِزَوْجَتِهِ ، سَعِيداً بِشَعْبِهِ

* * *

هَلْ فَازَ هِبَةُ السَّمَاءِ ، لِأَنَّهُ صَاحِبُ قَلْبٍ طَيِّبٍ وَخُلُقٍ كَرِيمٍ ، أَوْ لِأَنَّهُ صَاحِبُ حَظٍّ .. حَظٍّ سَعِيدٍ ؟

هَلْ تَعْرِفُ الْجَوَابَ ؟ ؟

دار مصر للطباعة



دار مصر للطباعة